توظيف النظريات البلاغية في استخلاص معايير خيرية الأمة ووسطيتها

سوجنج هاريادي [1]

سوكيجان عطاء الله [2]

Abstract

The Qur'an calls the best man in three terms, namely Khaira Ummah, Ummatan Wasathan, and Khairal Bariyyah. Meanwhile, the Hadiths of the Prophet (saw) mentioned by the terms Khairan Nas and Akyasun Nas. The Qur'an is a whole context, its verses and letters interrelated and interpreting. Although the three best human verses have mentioned the dimens-dimensions of the best human concepts, the question arises: how to form those dimensions? Prof. Dr. Abdul Halim Mahmud, one of the experts in Islamic education has presented a pattern of formulation of the flow of formation of the best human dimensions. Qualitative research with an analytical disqualified approach in accordance with the instructions of the theories of Arabic rhetoric or Balaghah aims to find out the extent of the conformity of his pattern with the instructions of the verse and hadiths of the Prophet (saw), with the aim of concluding detailed practices that will lead one to build the best human person.

Keywords: *Human; Best; Dimensions; Practice; Abdul Halim Mahmud; Pattern; Balaghah; Language Style*

(1) كلية الدراسات الإسلامية جامعة سلطان أغونج الإسلامية سمارانج، إندونيسيا

(2) كلية الدراسات الإسلامية جامعة سلطان أغونج الإسلامية سمارانج، إندونيسيا

مقدمة

يعد الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود واحدا من أعلام الأزهر الشريف بالقاهرة البارزين، فهو فقيه صوفي جمع بين الثقافة العربية والثقافة الغربية، ولد في بلبيس محافظة الشرقية مصر عام 1328 هـ الموافق 1980 م، وله باع طويل في تأسيس مجمع البحوث الإسلامية قبل أن تقلد منصب مشيخة الأزهر، وسافر إلى عدة دول عالمية لنشر العلم ودعوة الناس إلى الإسلام، منها دولة إندونيسيا عام 1976 م، وله مؤلفات كثيرة، منها: قضية التصوف: المنقذ من الضلال، والتفكير الفلسفي الإسلامي، ومنهج الإصلاح في المجتمع الإسلامي، وهو المرجع المعتمد في ربط أفكار هذه الدراسة ومعالجة قضيتها الأساسية، وهي استخلاص معايير خيرية الأمة ووسطيتها. وقد توفي -رحمه الله تعالى وغفر له- عام 1398 ه الموافق ل1978 م (المالح, 1999).

والقرآن الكريم أطلق مصطلحات تشترك في الدلالة على خيرية الأمة، وهي خير أمة، وأمة وسطا، وخير البرية، وقد استخدمت المصطلحات الثلاث في مواضع مختلفة على حسب ما يقتضيه السياق والمقام لكل منها، والمراد بالسياق والمقام ما يتضمنه السابق واللاحق من النصوص من ملامح اجتماعية وقرائن حالية (الزيوت, 2018)؛ فاستخدم "خير أمة " في آل عمران الآية 110، واستخدم "أمة وسطا" في البقرة الآية 143، واستخدم "خير البرية" في البينة الآية 7، فالآيات الثلاث تشترك في الدلالة على أفضلية الأمة الإسلامية بالمقارنة مع غيرها من الأمم السابقة، وبالمقارنة مع غيرها من أمة سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم-غير الإسلامية؛ فمن المهم أن نقف عند كل من هذه الآيات ونفهمها على أنها سياق واحد؛ لأن القرآن الكريم بجملته سياق لا غير (الإسلامية, 2007).

فهذه دراسة بلاغية موضوعية حول النصوص الشرعية المتعلقة بمعايير خيرية الأمة ووسطيتها؛ إجابة عن الأسئلة التالية: ما هي السياقات السابقة واللاحقة لآيات البقرة، وآل عمران، والبينة السابقة؟ وكيف ترتبط تلك الآيات بعضها بالأخرى وتفسر؟ وما هي معايير خيرية الأمة ووسطيتها؟ وما مدى توفيق فكر الشيخ عبد الحليم محمود حول الإصلاح التربوي وعلاقته بتلك المعايير؟ وكيف وظف القرآن والهدي النبوي الأساليب البلاغية لغرس تلك المعايير في نفوس الأمة؟

وأما الاستعانة بالنظريات البلاغية في معالجة هذه الدراسة فراجعة إلى أهميتها البالغة في كشف وجه من وجوه الإعجاز القرآني والهدي النبوي، وهو النظم؛ فإن أساطين

البيان وأعلام المعاني رأوا أن مناط الإعجاز كله هو نظمه (الباقلاني, n.d. , وبخيت, 2017)، والنظم البلاغي هو اختيار العناصر اللغوية وتعليق بعضها بالآخر، فتنتظم بذلك المعاني المقصودة على حسب ما يقتضيه السياق والمقام (الجرجاني, 2004)، إضافة إلى أنه من الصعب -إن لم يكن مستحيلا-أن يهتدي قارئ القرآن والسنة النبوية حق الاهتداء إلا بفهم بيانهما والشراح والاستفادة الجيدة بعلوم البيان والبلاغة (الزركاشي, 1391).

البحث

قدم فضيلة الشيخ عبد الحليم محمود فكرا رائعا لإصلاح المجتمع الإسلامي يمكن أن يكون رؤية تربوية جديدة في بناء شخصية المسلم، وتتمثل تلك الرؤية التربوية في عنصرين أساسين وعنصرين يمثلان قمة التربية الإسلامية، فأما العنصران الأساسيان فهما: العلم والعبادة، وأما العنصران القمتان فهما الجهاد والرحمة (محمود, 2001)؛ فشخصية المسلم الصالح إنما بنيت على الأساسين إلى أن بلغت قمتيهما، ثم تتكون من الشخصيات الفردية المسلمة الصالحة أمة مسلمة صالحة يمكن أن يطلق عليها "خير أمة"، و"أمة وسطا"، و"خير البرية".

أ- سياقات الآيات المتعلقة بخيرية الأمة ووسطيتها

قال الله تعالى: ((كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) [آل عمران: 110]، فشروط خيرية الأمة ثلاثة: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والإيمان. فالأمة الإسلامية من أمة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- خير أمة بالإضافة إلى غيرها من الأمة غير الإسلامية، وهذا يعني أن الأمة الإسلامية ما دامت تتمسك بالإيمان، فهي خير أمة بالإضافة إلى الأمة غير الإسلامية، وإن لم تقم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما ينبغي؛ فإن الإيمان ما بنيت عليه شخصية المسلم فردا واجتماعا، وهو العقيدة عند الأصوليين، ثم يتجلى هذا العنصر الإيماني في سلوكيات المسلم قولا وفعلا، وهو العمل الصالح الشامل للعبادات والمعاملات بجميع أنواعهما في تعبير القرآن والسنة النبوية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضربان من ضروب هذا العمل الصالح.

وقد يسأل سائل: لماذا قدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على عنصر الإيمان مع كونه الأساس والأو ؟ فالإجابة أن ما تعول عليه الآية في ترتيب هذه المعايير هو ما

يدور عليه سياق الآية الكريمة من الآيات السابقة واللاحقة، حيث قال الله تعالى: ((وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) [آل عمران: 104]، فهي تفيد أن فلاح المؤمنين يتوقف على قيامهم بالدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. وقال تعالى: ((لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114))) [آل عمران: 113– 114]، فهي تفيد أن صلاح تلك الطائفة المؤمنة يتوقف على الإيمان بالله والقيام بالمعروف والنهي عن المنكر. فليس من الغريب أن تكون خيرية الأمة –كما ذكرت في الآية 110– قائمة على تلك المعايير الثلاثة (منصور, n.d.)، ولا يمكن الاكتفاء أن يقال هنا: قدم هذا على ذاك لأنه أهم؛ فإن الترتيب ضربان: ترتيب نزولي وترتيب تصاعدي، والترتيب في الآية 110 من الضرب الأول، وهو الأليق بالسياق والمقام (علي, 2017).

وقال الله تعالى: ((وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)) [البقرة: 143]، فقد جعل تعالى هذه الأمة أمة وسطا، أي عدلا وخيارا، وهذا هو سر كونها شهداء على غيرها من الأمم، والمراد شهادتهم بأن رسالة سيدنا محمد –صلى الله عليه وسلم– حق، وتتمثل هذه الشهادة في امتثالها أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه، ومن أبرزها –على ما يمليه سياق الآية الكريمة – تحويل القبلة من بيت المقدس إلى بيت الله الحرام، وليس وراء هذه الطاعة المطلقة إلا الإيمان الراسخ بلا نزاع. انظر إلى قوله تعالى: ((سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) [البقرة: 142]، فهؤلاء السفهاء في غاية البعد من هداية الله تعالى للإيمان، فقالوا ما قالوا عن تحول قبلة المسلمين من جهة إلى أخرى، وأما المؤمنون فهؤلاء على هداية ربهم إلى الصراط المستقيم، وهو الإسلام، أي خضوع القلب والجوارح إلى رب العالمين.

والأمة الإسلامية بشهادتها لرسالة الحق بلغت قمة التوسط أي العدل في دينها، فلا إفراط ولا تفريط، ولا تشدد ولا إهمال؛ فلذا عبر عن هذه المواصفة البليغة بصيغة المصدر (وسطا) لا غير؛ ونحن نستشعر من هذا التعبير القرآني بمدى بلوغ ذلك التوسط قمته من السعة والعمق، وفيه تخييل بأن الأمة الشاهدة أصبحت هي الوسط (عاشور, 2000 ، و راشد, 2021).

وقال تعالى: ((إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُم خَيرُ ٱلبَرِيَّةِ)) [البينة: 7]، فالذي يقرأ الآية الكريمة والتي قبلها يجد أن البشرية في مصيرهم باليوم الآخر قسمان: شر البرية وخير البرية، وأن خيرية البرية راجعة إلى معيارين أساسيين: الإيمان والعمل الصالح. فعندما يحشر الناس من لدن آدم إلى آخرهم يوم العرض الأكبر على ربهم، نجد أن للبشرية بأجمعها فرصة سوية لتكون خير البرية يومئذ شريطة أن كانوا مؤمنين صالحين، إذ الإيمان والصلاح جزءان لا ينفصلان، إذ لا إيمان لمن لا عمل له، ولا عمل إلا لمن لا إيمان له، إلا من رحمه الله تعالى، وأما الكفر مع الأعمال الصالحة، فلا عبرة؛ فلذلك قال تعالى قبل الآية السابقة: ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ)) [البينة: 6]، فالكفر سواء أكان مع الأعمال الصالحة أم بدونها في النار خالدا فيها.

ولما كانت المقارنة في الآية الكريمة بين الأمم بأسرها، أضيفت (خير) إلى (البرية) لقصد العموم مع ضرب من التهويل للموقف، وقصد تعظيم شأن المؤمنين الصالحين، وأضيفت (شر) إلى (البرية) في التي قبلها لقصة التحقير والوعيد (موسى, n.d.).

ب – موازنة بيانية بين خير أمة والأمة الوسط وخير البرية

وافقت (خير أمة) و(خير البرية) على التعبير بالخيرية، وخالفت الأولى الأخرى بما تضاف إليها (أمة)، وهي نكرة، بينما أضيفت الثانية إلى (البرية)، وهو معرفة، كما وافقت آية آل عمران آية البينة على ذكر معيار الإيمان، وخالفت الأخرى بذكر معيار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذكرت آية البينة معيار العمل الصالح. وآية آل عمران قدمت ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على معيار العلم، وآية البينة قدمت ذكر الإيمان على العمل الصالح.

وسر ذلك راجع إلى سياق كل من الآيتين، فآية آل عمران تقدم مقارنة بين أمة اتباع سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم- وما قبلها من أمم الأنبياء والرسل، وبين الجيل الأول من أمة اتباعه-صلى الله عليه وسلم- والتي بعدهم، كما قدمت مقارنة بين أمة اتباعه-صلى الله عليه وسلم-وأمة دعوته بأسرها، وذلك في سياق إخبار عن معايير الخيرية في الدنيا، وأما آية البينة فهي أشمل مقارنة بين المؤمنين وغيرهم من الخلق كلهم في سياق تحديد مصير كل من الفريقين.

وأما لماذا قيد قوله تعالى: ((وتؤمنون)) بالمفعول به ((بالله))، وأطلق ذلك القيد في آية البينة فراجع -على ما يقتضيه السياق-إلى ما جاء قبل الآيتين الكريمتين، فقال تعالى في آل عمران: ((وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)) [آل عمران: 109]، فإنها منصبة على تحقيق وحدانية الله تعالى وعظمته، إذ أخبر تعالى أنه مالك الملك والملكوت، وأنه خلق الخلق كلهم، وإليه يرجعون يوم الحساب، فناسب ذلك ذكر القيد الإيمان به سبحانه وتعالى في الآية التي بعدها، وقال تعالى في البينة: ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ)) [البينة: 6]، فأطلق فيها الكفر دون أي قيد، وناسب ذلك إطلاق الإيمان والعمل الصالح بلا قيد، والله أعلم.

والآيتان الكريمتان تلاقيان ما ورد في آية البقرة الدالة على وسطية الأمة الإسلامية؛ فإن الشهادة العادلة -بطبيعة الحال-لحق رسالة سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم- تأبى إلا أن تكون صادرة من خير أمة وخير البرية، وإلا فكيف تتأتى شهادة حق على باطل: ((فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ)) [يونس: 32] (نور 2017)، وقد ذكر العلامة ابن عاشور -رحمه الله تعالى-تفسير (أمة وسطا) أنها خير أمة أخرجت للناس (عاشور 2000).

وبناء على ما جاء في الآيات الثلاث السابقة يتجلى أن خيرية الناس ترجع إلى عنصرين: الإيمان والعمل الصالح، فشهادة العدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ضروب من الأعمال الصالحة لا بد لكل منها من الإيمان، وقد تجد-أيها القارئ-اختلافا بين ما جاء في هذا البحث وما جاء في بحث ذكر مبادئ خيرية الأمة على النحو التالي: الصدق، والأمانة، والتعاون، والعدل، والاستقامة، ولست أدري كيف خصص الباحث المعاني العامة للأعمال الصالحة بهذه الخصال المحدودة، وما مقاييس اختيارها؟ (حامدي 2019).

وما اختير من معياري الإيمان والعمل الصالح فهو الأنسب-على حسب فهمي-لما ورد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- في حديث جبريل، وهو يعلمنا أمور الدين: الإسلام والإيمان والإحسان. يقول الرسول-صلى الله عليه وسلم- في التعريف بالإسلام: ((أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَتُقِيمَ الصَّلاَةَ وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ وَتَصُومَ رَمَضَانَ وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ صَدَقْتَ. قَالَ فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ))، ويقول في التعريف بالإيمان: ((أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ

بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ))، ويقول في التعريف بالإحسان: ((أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)) [أخرجه مسلم]. فخير الناس هو الذي حقق في نفسه المعايير الثلاثة: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وهي أجزاء مترابطة يشد بعضها الآخر، فأركان الإيمان ينبغي أن تعكس نورها في السلوكيات الظاهرة الإسلامية، وأن هذه السلوكيات لا بد أن تصل إلى مقام الإحسان، وهو درجة الإتقان للأعمال لا مجرد الأداء والقيام، وهذه الدرجة هي ثمرة الإيمان والإسلام.

والذي يعضد ذلك ما ثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم- أيضا فيما روي عن أبي عمرو، وقيل: أبي عَمرة سفيان بن عبد الله - رضي الله عنه -، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُول اللّه، قُلْ لي في الإسْلامِ قَولاً لاَ أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَداً غَيْرَكَ! قَالَ-صلى الله عليه وسلم: ((قُلْ: آمَنْتُ بِاللّهِ، ثُمَّ استَقِمْ)) [أخرجه مسلم]، فالإيمان -كما وضعه النبي-صلى الله عليه وسلم- نقطة انطلاق المسلم، والاستقامة بمعنى الالتزام بشرائعه -كما ورد في القرآن والسنة – بلا انحراف ولا تكلف، ولا إفراط ولا تفريط-هي النهج السوي في الحياة الفانية إلى الحياة الأبدية، وهي المعبر عنه بالأعمال الصالحة.

ج-معايير خيرية الناس في الهدي النبوي

إن خير الناس هم-بلا ريب- أصحاب خير الأعمال، وقد قال الله عز وجل: ((الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا)) [الملك: 2]، وقد وجه النبي-صلى الله عليه وسلم- أصحابه إلى أعمال هي خير الأعمال وأفضلها، وكل توجيهاته-صلى الله عليه وسلم-بليغة في مقامها، مراعاة لأحوال السائلين والحاضرين له-صلى الله عليه وسلم-: ((وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4))) [النجم: 3-4]، وإلا فكل هدي نبوي إنما يهدف إلى بناء أفضل شخصية للبشرية، وهو شخصية المسلم.

1- الحرص على الإيمان وزيادته، كما روي أنه سُئِلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ)) [أخرجه البخاري]، فقدم-صلى الله عليه وسلم-ذكر الإيمان قبل الجهاد والحج المبرور، أليس ذلك دليلا على منزلة الإيمان العالية؟ والترتيب هنا قد يكون ترتيبا نزوليا، فالإيمان يقوم مقام الرأس من الجسد، والقمة من السلاليم، وقد يكون ترتيبا تصاعديا أو ترقيا، ولا ينقص ذلك من قدر ما قدم قبل ما أخر شيئا؛ من حيث إن الإيمان أساس الجهاد، والحج

المبرور، إذ لا معنى لهما بدون إيمان. ولعل في تنكير الألفاظ(إيمان-جهاد-حج مبرور) في سياق تعداد الأفضلية قصد التعظيم والترغيب ما لا يخفى (النور 2005).

2- تعلم القرآن وتعليمه والاستقامة على قراءته، كما روي عن النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((خَيرُكُم مَن تَعَلَّمَ القُرآنَ وَعَلَّمَهُ)) [أخرجه أحمد، والترمذي، وأبو داود]، فقد صرح -صلى الله عليه وسل-بمنزلة معلم القرآن، ولا ريب أن الذي علم القرآن كان متعلما له، ومع ذلك هل حدد-صلى الله عليه وسلم-مقدار العلم الذي يجب أن يلقب به معلم القرآن؟ فكل من تعلم شيئا من القرآن: قراءة، وحفظا، وفهما، وتدبرا، جدير بأن يعلم الآخر، فينسلك في سلك الهدي النبوي الشريف. انظر كيف جاءت بلاغة النبي-صلى الله عليه وسلم- في هذا البيان، فجانس بين اللفظين المشتقين من أصل واحد، وهو العلم (علم -تعلم)؛ فينشأ من هذه المجانسة حسن النسق ولذة السمع (الإصبع.n.d ,).

3- العناية البالغة بالصلاة وقتا وأداء، كما روي عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((الصَّلَاةُ لِوَقْتِهَا وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّه)) [أخرجه البخاري]، وسُئِلَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((الصَّلَاةُ لِأَوَّلِ وَقْتِهَا)) [أخرجه الترمذي]، وروي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حُبْشِيٍّ الْخَثْعَمِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- سُئِلَ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: ((طُولُ الْقِيَام)) [أخرجه أبو داود]، ويقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((خَيرُكُم أَلينُكُم مَنَاكِبَ فِي الصَّلَاةِ)) [أخرجه الحاكم]، فعلم-صلى الله عليه وسلم-فرائض الصلاة الخمس بمواقتها الخاصة وآدابها الكاملة، ووجه أصحابه-رضي الله عنهم-إلى مراتب القائمين بها، وأن خيرهم -بالقطع- من أقام الصلوات على أول مواقتها وراعى آدابها وبلغ الخشوع فيها. وقد أوصى بها -صلى الله عليه وسلم- أصحابه في أواخر عمره، فكل حركة وقول ودعاء وذكر في الصلاة يجب أن يهتم بها المصلي، ولعل التعبير بقوله: ((ألينكم مناكب)) كناية عن الخشوع لإفادة السامع بما يدل على الخشوع في الصلاة من ليونة المنكب، فإن ليونته تدل على الراحة والطمأنينة، والطمأنينة تدل على الخشوع، فيتأثر المصلي بذلك التوجيه على أن يحقق ذلك الخشوع

(حمود، 2011)، ونحن على يقين أن في التعبير بالإقامة (طول القيام) بدلا من الأداء إيحاءا من التعبير القرآني (إقامة الصلاة) ما لا يخفى علينا من فرضية العناية بهذا الركن الركين من أركان الصلاة، وهو القيام، وأن من أقامها حق الإقامة فكأنما أقام الدين كله؛ لأن مدار صلاح المسلم في صلاته، وأن حساب أعماله يوم البرزخ معلق بحسابها، وفي لفظ القيام والإقامة استعارة تخييلية تجسد ذلك الأداء الكامل بصورة بناء قائم بأركانه الكاملة، تقريبا للمعاني الدقيقة في صورة أشياء محسوسة، فتنعكس صورة ذلك في نفسية القارئ (الكريم، 2017).

4- إطعام الطعام، كما روي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو-رضي الله عنهما- أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: أَيُّ الْإِسْلَامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: ((تُطْعِمُ الطَّعَامَ وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ)) [أخرجه مسلم]، فأشار النبي-صلى الله عليه وسلم-إلى عموم الإطعام، فلا يكتفى بمن يحتاجه من الفقراء، ولكن يتجاوز الأغنياء، والأقرباء، والمجتمع كلهم، ولعل ذلك ما تلمح إليه التعبير بعدم ذكر المفعول به الدال على المطعم إليه (حافظ، 2022).

5- أداء الحج المبرور، وكما سبق في الحديث النبوي عن منزلة الإيمان.

6- إتقان العمل لكسب المعيشة المرضية، كما يقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((إِنَّ مِن خَيرِ النَّاسِ رَجُلٌ عَمِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَلَىَ ظَهرِ فَرَسِهِ، أَو عَلَىَ ظَهرِ بَعِيرِهِ أو عَلَىَ قَدَمَيهِ حَتَّى يَأتِيه المَوتُ، وَإِنَّ مِن شَرِّ النَّاسِ رَجُلٌ فَاجِرٌ جَرِيءٌ يَقرَأ كِتَابَ اللهِ لَا يَرعَوِي إِلَى شَيءٍ مِنهُ)) [أخرجه الحاكم]، فالعمل للإنفاق على الأسرة ضرب من ضروب الأعمال التي حث عليها الإسلام، ورغب فيه، فهو سنة من سنن الحياة زادها الإسلام شرفا بأن وضع لها ضوابطها، ومنها أن يكون خالصا مخلصا لوجه الله تعالى؛ فلذلك قدم النبي-صلى الله عليه وسلم – ما يخبر به عن خيرية الناس قبل ذكر من يتعلق به، فهو من باب تقديم الخبر على المبتدأ لقصد الاهتمام، مؤكدا ذلك الخبر بإن لما يقتضيه المقام من شدة حرص النبي-صلى الله عليه وسلم- على توجيه أصحابه (العايدي، 2016).

7- الإحسان بالناس والأبوين، والأهل، والاجتهاد في القيام بحقوقهم، والرفق بهم، كما يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((خَيرُ النَّاسِ أَنفَعُهُم لِلنَّاسِ)) [أخرجه

البيهقي والطبراني)، فقد حث -صلى الله عليه وسلم-الرجال على التسابق في الإحسان بالناس والأقرباء والأهل؛ فإنه من أفضل الأعمال وخيرها على الدوام والثبات في أي زمان وفي أي مكان؛ فلذلك عبر عن ذلك بالجملة الاسمية مع تعريف من الطرفين المبتدأ والخبر في قالب الأسلوب الخبري لا الإنشائي؛ لأن هذا الأسلوب أبلغ-في مقامه- لإفادة الحث والترغيب، تكريما للإنسانية، وتقديرا لعقليتها، ومراعاة لنفسيتها. وقد نزل رسول الله-صلى الله عليه وسلم- الأسرة منزلة عالية عند الرجال، حيث قال: [أخرجه الحاكم]؛ فإن الأسرة-وفي مقدمتها الأبوان والزوج والأولاد-هم أقرب الناس إلى المؤمن، فهم الأحق بالإحسان قبل غيرهم؛ لأن الأسرة في الإسلام اللبنة الأولى للمجتمع، وبها قوامها.

8- حسن المعاملة بالناس والأصحاب والجيران، والحفاظ على سلامة القلب واللسان والجوارح، كما يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عُبَيْدِ بن عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: فَأَيُّ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ إِسْلامًا؟ قَالَ: ((مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ يَدِهِ وَلِسَانِهِ)) [أخرجه الحاكم]، فكل ما يؤذي الآخرين يجب أن يحترز منه المسلم سواء ما يصدر عن لسانه أو يده أو غيرهما من جوارحه؛ وإنما عبر عن ذلك نيابة عن الآخرى لأن أغلب التصرفات المسيئة للآخرين إنما يترتب علىيهما، ولا يكاد ينفصل أي عمل من آثارهما، أو لأنها تصدر منهما أو بسببهما، وهو من باب المجاز المرسل علاقته الجزئية أو السببية. ويقول -صلى الله عليه وسلم-: ((أَكمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَانًا أَحسَنُهُم خُلُقًا وَخِيَارُكُم خِيَارُكُم لِنِسَائِهِم)) [أخرجه الحاكم]، ويقول -صلى الله عليه وسلم-: ((خَيرُ الأَصحَابِ عِندَ اللهِ خَيرُهُم لِصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِندَ اللهِ خَيرُهُم لِجَارِهِ)) [أخرجه الترمذي وأحمد].

9- الحرص على صلة الأرحام، كما يقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((خَيْرُ النَّاسِ أَقْرَؤُهُمْ وَأَتْقَاهُمْ وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَاهُمْ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ)) [أخرجه أحمد وابن حبان والبيهقي]، فقد رتب النبي-صلى الله عليه وسلم- صلة الرحم على أفضل الأعمال قراءة القرآن والتقوى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بما يدل على منزلة هذه الصلة، فهي العروة الوثقى بين الأقارب، وبها تدوم العلاقة الأسرية بين الأصول والفروع.

10- **الإحسان بالوالدين، كما تقدم الهدي النبوي حول منزلة هذه الخصلة في حديثه عن منزلة الصلوات الخمس، والحج المبرور، فليرجع إليه.**

11- **الوفاء بالعهد في قضاء الدين، كما يقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: عَنْ أَبِي رَافِعٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- اسْتَسْلَفَ مِنْ رَجُلٍ بَكْرًا وَقَالَ: إِذَا جَاءَتْ إِبِلُ الصَّدَقَةِ قَضَيْنَاكَ. فَلَمَّا قَدِمَتْ قَالَ: يَا أَبَا رَافِعٍ اقْضِ هَذَا الرَّجُلَ بَكْرَهُ! فَلَمْ أَجِدْ إِلَّا رَبَاعِيًا فَصَاعِدًا، فَأَخْبَرْتُ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَقَالَ: ((أَعْطِهِ؛ فَإِنَّ خَيْرَ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ قَضَاءً)) [أخرجه ابن ماجه]، فقد حث –صلى الله عليه وسلم- على قضاء الدين في موعده المتفق عليه، وعلى مقابلة الدين بما هو أحسن عند الاستطاعة.**

12- **إفشاء السلام بين الناس، كما تقدم الهدي النبوي حول منزلة هذه الخصلة في حديثه عن إطعام الطعام، فليرجع إليه.**

13- **الجهاد في سبيل الله تعالى بكل أنواعه، أو العزلة من الناس حرصا على سلامة نفسه ودينه، وقتال الأعداء في المعركة، كما تقدم الهدي النبوي حول منزلة هذه الخصلة في حديثه عن منزلة الصلوات الخمس، وبر الوالدين، ويقول –صلى الله عليه وسلم- في موضع آخر: ((خَيرُ النَّاسِ فِي الفِتَنِ رَجُلٌ آخِذٌ بِعِنَانِ فَرَسِه – أَو قَالَ : بِرَسنِ فَرَسِهِ – خَلفَ أَعدَاءِ اللهِ يُخِيفُهُم وَيُخِيفُونَهُ، أَو رَجُلٌ مُعتَزِلٌ فِي بَادِيَتِهِ يُؤَدِّي حَقَّ اللهِ الَّذِي عَلَيهِ)) [أخرجه الحاكم]، ففي سياق الاختيار بين الحالين: الخوض في المعركة أو العزلة، فالقتال لمن كان مستعدا له، والعزلة لمن كان معتذرا.**

14- **إسداء النصيحة لظالم المستبد من الأمراء والحكماء، كما يقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن عُبَيْدِ بن عُمَيْرٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قلت لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ؟ قَالَ:((كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ)) [أخرجه الحاكم]، فأي حاكم أو أمير خرج عن حدود الله تعالى وتعداها، فعلى العلماء أن يهديه إلى سبيل الرشاد والسداد، ولا أفضل في هذا السياق من نصحه وإرشاده إلى سواء السبيل من وصايا الدين.**

15- **ذكر الموت والاستعداد للقائه، كما يقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: عَنْ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ :كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنْ**

الْأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ....: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: ((أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ)) [أخرجه ابن ماجه]، وليس من الأعمال أفضل في هذا السياق من المبادرة بتجديد الإيمان، والاستغفار والتوبة، ثم المسارعة إلى أعمال الخير الإحسان، وحق التوكل على رب العزة والجبروت.

16- الحرص على المحاسبة ودوام الإصلاح، كما يقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: ((مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُه)) [أخرجه الترمذي]، فليس المعيار لخيرية الناس طول العمر أو كثرة الأعمال فيه، ولكن حسن العمل مع صدق النية والاستقامة، وكل مسلم له فرصة لإصلاح نفسه ليترقى به إلى هذا المقام مع استيفاء الشروط اللازمة له (عضيمة, n.d.).

ختام

ذكر في القرآن الكريم ثلاث مصطلحات تدل على خيرية الناس، وهي خير أمة، وأمة وسطا، وخير البرية، فذكر خير أمة في آية آل عمران؛ لما يدور السياق فيها حول تأثير الإيمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على بناء الأمة الإسلامية وترسيخ أخوتها وتوحيدها، وذكر أمة وسطا في آية البقرة؛ لما يدور السياق فيها حول استعداد هذه الأمة لتكون شاهدة بالحق على غيرها من الأمم، وأما خير البرية، فذكر في آية البينة؛ لما يدور السياق فيها حول المقارنة بين مصير كل من المؤمنين والكافرين يوم الآخرة.

الإيمان والعمل الصالح عنصران أساسيان في بناء شخصية المسلم، وقد وافق ذلك ما وضعه العالم الرباني الأستاذ الدكتور عبد الحليم محمود-رحمه الله تعالى-، وهو يقدم لنا رسما واضحا حول منهج الإصلاح في المجتمع الإسلامي-كما صرح به في عنونة كتابه-، فالعنصران الأساسيان للإصلاح هما العلم والعبادة، والعنصران القمتان المترتبان على العنصرين الأساسيين الجهاد والرحمة. وما رسمه العالم إنما تفسير موضوعي لما جاء في القرآن الكريم، فالعلم دليل الإيمان، والعبادات نوع خاص من الأعمال الصالحة، وأما الجهاد والرحمة، فهما نوعان عامان لها.

ولما كانت السنة النبوية ترجمة وتفسيرا للقرآن الكريم، فقد دل النبي-صلى الله عليه وسلم- على أفضل الأعمال بعبارات متشابهة: خير الناس وأكيسهم، وخير الأعمال وأفضلها، والواضح أن اختلافه-صلى الله عليه وسلم- في توجيه الصحابة نحو خير الأعمال وأفضلها إنما يرجع إلى اختلاف المقامات والأحوال لكل منهم، ((وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى)) [النجم: 3-4]، وقد وصلت الدراسة-على حسب سعتها-إلى أربعة عشر عملا.

واستخدم كل من القرآن الكريم والهدي النبوي الشريف أساليب بلاغية متنوعة في التعبير عن تلك الأعمال والترغيب فيها، وهذا التنوع راجع إلى اختلاف السياق والمقام وراء كل من المصدرين، فكل كلمة وضعت في موضعها الأنسب، فتنتظم الجمل انتظاما يجعل المستمع أو القارئ أمام نصوص بليغة تحث النفوس نحو تكوين شخصية مسلم حقيقي بدءا من غرس القيم الأساسية للإيمان والعلم ومرورا بالقيام بأنواع العبادة العامة والخاصة، وانتهاء عند إعلاء كلمة الجهاد بأنواعه المختلفة، والإحسان إلى الكون بخلق الرحمة.

المصادر والمراجع

الإسلامية, ا. ا. ل. (2007). ***الموسوعة القرآنية المتخصصة*. وزارة الأوقاف المصرية.**

الإصبع, ا. أ .(n.d.). ***تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن*. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.**

الباقلاني, أ. ب .(n.d.). ***إعجاز القرآن*. دار المعارف.**

الجرجاني, ع. ا. (2004). ***دلائل الإعجاز*) م. شاكر** .(ed.); 5th ed.) **مكتبة الخانجي.**

الزركاشي. (1391). ***البرهان في علوم القرآن*) أ. ا. م. إبراهيم** .(ed.); 2nd ed.) **دار المعرفة.**

الزيوت, ه. س. ا. ع. ا. أ. (2018). **أثر السياق القرآني في توجيه المتشابه اللفظي في الذكر والحذف عند الإمام البقاعي في تفسيره "نظم الدرر."** ***مجلة الجامعة للدراسات الإسلامية (عقيدة -تفسير- حديث)***, *27*(4), 327–328 . https://doi.org/10.13140/RG.2.2.28850.15043

العايدي, س. ع. ا. (2016). **التركيب النحوي ودلالته في الحديث النبوي الشريف في كتاب الأربعين لأبي الحسن الطوسي المتوفى سنة 242 هـ [عمادة الدراسات العليا جامعة الأزهر غزة]** In .***كلية الآداب والعلوم الإنسانية عمادة الدراسات العليا جامعة الأزهر غزة***. http://dstore.alazhar.edu.ps/xmlui/handle/123456789/845 .

الكريم, ع. ع. (2017). **الصورة الاستعارية في الحديث النبوي الشريف: دراسة في متن اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان) أنموذجا.** ***مجلة حبل الدراسات الأدبية والفكرية***, https://jilrc.com/115 .**الصورة-الاستعارية-في-الحديث-النبوي-ال/**

المالح, ن. أ. م. ر. (1999). ***إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لزين الدين الزركلي)*) 1** .(st ed.) **دار صادر.**

النور, أ. م. (2005). ***أسرار التنكير والتعريف في الحديث النبوي*. جامعة أم درمان الإسلامية.**

بخيت, ب. م. (2017). **معجزة القرآن الكريم خصائصها وأثرها على ثقافة الشعوب.** ***الحركة***, *19*(1), https://doi.org/https://dx.doi.org/10.18860/el.v19i1.4052146 .

حافظ, ي. م. ش. ا. (2022). **أغراض المفعول به ودلالته البلاغية في الأحاديث النبوية.** ***راحة القلوب***, *6*(1), 9–10 .

https://rahatulquloob.com/index.php/rahat/article/view/331/407

حامدي، أ. س) .). KONSEP BARU PENDIDIKAN KARAKTER MABADI KHAIRA 2019

UMMAH. *Ar-Rihlah: Jurnal Inovasi Pengembangan Pendidikan Islam*, *4*(1), 175. https://www.bing.com/search?q=KONSEP+BARU+PENDIDIKAN+KARAKTER+MABADI+KHAIRA+UMMAH&qs=n&form=QBRE&msbsrank=1_1__0&sp=-1&pq=konsep+baru+pendidikan+karakter+mabadi+khaira+ummah&sc=1-51&sk=&cvid=8D93E61DE29A4BA88250CC45A40EF230

حمود، م. (2011). ***الكناية في الحديث الشريف وأثرها في الاستنباط*. جامعة دمشق.**

راشد، آ. م. (2021). **من بلاغة التعبير بالمصدر في النظم القرآني. *مجلة الأزهر*، 999 .**

من-بلاغة- https://www.azhar.eg/magazine/home/ArtMID/1089/ArticleID/53812/

التعبير-بالمصدر-في-النظم-الق

عاشور، ا. (2000). ***التحرير والتنوير*. مؤسسة التاريخ العربي.**

عضيمة، م. ع. ا .(n.d.). **دراسات لأسلوب القرآن الكريم** In ***القسم ا الجزء 3*** .(p. 154) **دار الحديث.**

علي، س. أ. (2017). **دواعي التقديم والتأخير وسياقاتهما في القرآن الكريم. *مجلة الكلية الإسلامية الجامعة*، 5–6 .**

https://www.researchgate.net/publication/320269724_dway_altqdym_waltakhyr_wsyaqathma_fy_alqran_alkrym

محمود، ع. ا. (2001). ***منهج الإصلاح في المجتمع الإسلامي*. مكتبة الأسرة.**

منصور، م. ،. ع .(n.d.). *Khaira Ummah dalam Al-Qur`an*. **مركز التدريبات والدراسات الإسلامية بجامعة سلطان أغونج الإسلامية.**(LKPI UNISSULA)

موسى، م. أ .(n.d.). ***البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية*. دار الفكر العربي.**

نور، أ) .). Konsep Wasathiyah Dalam Al-Quran;(Studi Komparatif Antara Tafsir Al-2017

مجلة النور، *4*(2)، 207 . Tahrir Wa At-Tanwir Dan Aisar At-Tafasir).

https://www.bing.com/search?q=Konsep+Wasathiyah+Dalam+Al-Quran%3B%28Studi+Komparatif+Antara+Tafsir+Al-Tahrir+Wa+At-Tanwir+Dan+Aisar+At-Tafasir%29%5C&form=ANNH01&refig=ddeb24d6c0c74e6f96567b5024769055